

# نساء غزة... سيدات التعب على أرض ! لا وقت فيها للبكاء

نزحتُ تحت القصف سيرًا على الأقدام، أحمل طفلي على كتفي، وأمسكُ بيدي إخوته الثلاثة، وفي أحشائي صغيري الخامس، عند الحاجز؛ اعتقل جيش الاحتلال زوجي"، تختزل السيدة زينب الحكاية بهذه الكلمات، فلو أراد مخرجٌ سينمائيٌ صناعة مشهدٍ يحاكي أقصى ما قد تعيشه امرأةٌ يومًا، لما وجد أشد مما مرَّ عليها، حالها كحال كلِّ نساء غزة، اللاتي كن الضحية الكبرى مع أطفالهن في الإبادة، إذ صُودر حقهن في الحياة، ومن لم يقتلها القصف أو الحرمان من العلاج، فُرض عليها واقعٌ مخيفٌ لم تعشه في أيِّ عدوانٍ. إني إحدى هؤلاء النسوة، وقد كتبت كلامي هذا قطرةً من فيض عذاباتنا، ولو كان بوسعي لكتبت عنا جميعًا، عن نصف مليون امرأةٍ غزبيةٍ.

تتابع زينب حديثها الحزين: "أكملت السير بمفردي مع أطفالتي إلى رفح، المدينة البعيدة التي لم أزرها قط. ما أن وصلت، حتى تضاعفت خيبتني، فلا مكان نأوي إليه، وما من أحدٍ نعرفه. بتنا ليلتنا الأولى في العراء، وفي اليوم التالي، وجدت قريبًا لي بين النازحين، فوجد لنا مكانًا نمكث فيه، مستودعًا للأونروا، لا يصلح للعيش الآدمي، بالأمس كان مستودعًا للعدس والطحين، واليوم صار "مأوىً باردًا لأمٍ مقهورةٍ مع أطفالها، بلا زوجٍ ولا أخٍ ولا أبٍ".

تحدثني زينب والعبارات تخنقها: "أصبحت كالقطة التي تحمل صغارها من مكانٍ إلى آخر، لا أعرف متى نبتت لي أربع أيادي، لا بل عشر، أرفع بها تعب العالم، وأبحث لساعاتٍ عن حطبٍ، أشعل به النار لإعداد الخبز"، تصمت قليلاً، ثم تسأل بحسرةٍ: "وين رحت وتركتني؟"، وتكمل سرد تفاصيل قاسيةٍ، ربّما كان ليسهلها وجود زوجها معها: "أقف في طابور المياه لساعاتٍ، ثم أرجع بجرةٍ ثقيلةٍ أحملها فوق ظهري، تعبت كثيرًا، حتى جاءني المخاض مبكرًا في ليلةٍ حالكةٍ. هب النازحون عند سماع صراخي، حاولوا إحضار سيارة إسعاف، لكن انقطاع الاتصالات حال دون ذلك. اضطرت إحدى السيدات إلى مساعدتي لأضع مولودي، وقد أحبطتني فكرة مجيئه إلى العالم في مكانٍ مكتظٍ متسخٍ وباردٍ، وإخوته سيكون أمامه مذعورين! تمنيت الموت ألف مرّةٍ، حتى فقدت وعيي، ولم أستفق إلا في ممر مستشفى، أحضرني الناس إليه، كنت ملقاةً على الأرض، بانتظار دوري لدخول غرفة الولادة. بعد وضع طفلي دون تخديرٍ، رجعت لمسكننا المشؤوم، وفي رأسي تتردد كلمة





في ما علق زوجها في الشمال. في الطريق، أصيبت علا برصاصةٍ في ظهرها، واستقرت في صدرها، نجت بأعجوبةٍ، وتابعت سيرها إلى أن بلغنا المستشفى، حيث خضعت لجراحةٍ عاجلةٍ، وغادرتها سريعًا؛ من دون أن تستريح، إلى خيمةٍ باردةٍ، لتعيش مع طفلتيها، حياةٍ كل السيدات اللاتي أخبرتكم عنهن، جريحةٌ دون معيلٍ. تسألني علا: "كيف سأعيش هنا، وحياتي هناك؟ لم يتركنا العالم في قلب الموت، بعيدًا عن حياتنا؟!" جميعنا نسأل يا علا، لكن لا وقت للإجابة، فالتوابير! تنتظرنا، والخبز، والهرب من القصف

نور عاشور

المصدر: صحيفة العربي الجديد